فِكرة التَّقابل الصَّوتي في التُّراث العربي: بين ابن جني وبين مدرسة براغ

The idea of phonetic opposition in the Arab heritage: between Ibn Djini and the Prague school.

د. محمد هتهوت

(جامعة البُليدة –02–لونيسي عليّ)

hathoutmohammed12@gmail.com

تاريخ الارسال 2021/06/18	تاريخ القبول 2022/10/21	تاريخ النشر 2022/04/15

الملخص

إنّ التّقابل بين الوحدات الصّوتيّة، فكرةٌ مثيرةٌ للاهتمام، ولم تكن مثل هذه الفكرة غائبةً عن أذهان العربِ المتقدّمين، ولم تكن ضربًا من العبثِ أو العشوائية، فالقدامى وإن افتقدوا إلى الأدوات المتطورة الفاحصة الراصدة، إلاّ أنّ أذواقهم السليمة ونظرهم الفاحص الذكيّ نفذ إلى حقائق وكشف كثيرًا من أسرار اللّغة. والدارس في الصوتيّات الحديثة، لا شك في أنه سيلامس أو سيحصل عنده شيءٌ من الشبه بين ما ذُكر في الخصائص لابن جني وما جاءت به مدرسة براغ. فالبحث في الاختلاف بين الوحدات أساسه المقابلة فيما بينها، وهذا ما يجعل التواصل بين المخاطبين قائما واضحًا. هذه المقالة ترمي إلى التنويه والاشادة بما ورد في الخصائص والمقاربة بينه وبين مبادئ مدرسة براغ الصّوتيّة.

Abstract

The opposition between the phonetic units is an interesting idea, and such an idea was not absent from the minds of the advanced Arabs, and was not absurd or random, the old arab, although they lacked the advanced tools examined, but their sound tastes and intelligent examiner look carried out into facts and revealed many of the secrets of the language. In modern phonetics, there is no doubt that he will touch or get some similarity between what is mentioned in the characteristics of Ibn Djini and what the Prague School has brought. Research into the difference between units is the basis for the opposite, which makes communication between the addressees clear. This article aims to note and praise the characteristics and approach between him and the principles of the Prague phonetic School.

كلمات مفتاحية: التّقابل الصّوتي –الصّوتيّات– السّمات الفارقة–الخصائص–مدرسة براغ– الصُّوَيْت.	**Keywords** : Phonetic opposition-phonetics-distinctif features-El khassais-Prague school-phoneme.

المؤلف المرسل: د. محمد هتهوت ، **الإيميل**: hathoutmohammed12@gmail.com

توطِئة:

لا يختلف اثنان في أنّ الدّرس الصوتي العربي التراثيّ، قد أسهم –إن بطرقٍ مباشرة أو غير مباشرة– في ميلاد[1] الصّوتيّات الحديثة، وقد أشار إلى ذلك غير قليل من المستشرقين واللّسانيين، فجون فيرث J.Firth يقول:" ولم يسبق الغرب إلى علم الأصوات إلاّ قومان البراهمة والعرب" [(2)]؛ ولا شك أنّ حرص العرب على لسانهم وحبهم له واعتقادهم في شرفه دون غيره مِن ألسنة، كان سبب هذا الزخم والموروث الثري، مثلما كان للهنود القدامى منذ بانيني وكتابهم المقدّس الفيدا في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد.ثمّ إنّ إبداع العرب الأوائل في هذا الجانب مِن الدّراسة، دليل أهميّة الأصوات في اللّغة، وقد أجزل ابن جني القول حين عرّف اللّغة بأنّها "أصوات يُعبّر بها كلّ قومٍ عن أغراضِهم. هذا حدُّها. وأمّا اختلافُها فلما سنذكره في باب القول عليها " [(3)]، فصوتيّة اللّغة ودرجة أهمّتها منبعُه، تقدّم الشّق الصّوتي على الشّق الكتابي زمنيا، وميل النّاس في تواصلاتهم إلى المشافهة والنّطق ثانيا.

1–النّظر الصّوتي التراثي:

نشأ الدّرس الصّوتي التّراثي وتطوّر في أحضان الباعث الدّيني، وذلك " خوف التحريف والتغيير – حتى لا تنبهم معانيه على أهله، فوصفوا مخارج الحروف وصفا دقيقا أثار دهشة المستشرقين، وإعجابهم وتحدثوا عن صفات الحروف وأصواتها بما يدل على إرهاف الحس العربي وشفافيته، وقد أطلقوا على هذه الدّراسة (تجويد القرآن الكريم). فكان ذلك الاهتمام أوّلا في ظلّ علم التّجويد الّذي حافظ على الأصوات في القرآن الكريم، ثم نشأ عنه اهتمام علماء اللغة بالأصوات فألفت فيها كتب"[(4)]. وحتى الروايات المتقدمة في الزمن الّتي تُحيل إلى سبق الدرس الصوتي عند العرب، ودقة ملاحظاتهم، فلا أدلّ على ذلك مِن "محاولة أبي الأسود الدؤلي لضبط المصحف بالشكل حين

استحضر كاتبا وأمره أن يتناول المصحف، وأن يأخذ صبغا يخالف لون المداد فيضع نقطة فوقالحرف إذا رآه يفتح شفتيه، وتحت الحرف إذا رآه قد خفض شفتيه، وبين يدي الحرف إذا رآه يضم شفتيه. وأما إذا أتبع الحرف الأخير غنةً فينقط نقطتين فوق بعضهما. أما الحرف الساكن فقد تركه " [5]، فهيلا تخرج عن كونها إحدى لبنات وضعت فيالدّرس الصّوتي، والإشارة إلى الحروف والحركات ههنا والكيفية الّتي تُخرَجُ بها وتمايُزها ثمّ وصفها ووَسمُها، دليلٌ ثابتٌ على ما ذكرت.

فالخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ) قد وضع معجمه (العين) ضمّنه قيمًا صوتيّة كانت فتحالمن خلفه مِن اللّغويين، والأخفش الأوسط ألف كتابا في الأصوات، ولابن السكيت كتاب في الأصوات، ولشيخ اللّغويين سيبويه (ت 180هـ) دراسة في الأصوات أوردها في باب الإدغام من الكتاب. ولا شك أنّ هذا غيض مِن فيض.

ونذكر في هذا الصدد مؤلفات جمّة في الدّرس الصّوتي، نحو: "سرّ صناعة الإعراب لابن جني (ت392هـ)، وكتاب "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة " لمكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، و"رسالة أسباب حدوث الحروف" لابن سينا (ت 428هـ)، و "الحروف والموسيقى الكبير للفارابي (ت 339هـ)، والجاحظ في البيان والتبيين (ت 255هـ)، و "النّشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت 833هـ)، ونحو ذلك من كتب البلاغة للرماني (ت 386هـ) وابن سنان الخفاجي (ت466هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، وضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ) وبهاء الدين السبكي (ت773هـ)، ورسائل إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري.

2–ابن جنيّ وخصائصُه:

تَذكُر بعض المصادرِ بأنّه " أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ النحويّ اللُّغويّ هذا كل ما أشارت اليه المراجع مِن نسب الرَّجل فَلم تَزِد على ذِكر اسمِه واسمِ أبيه وكُنيتِه شيئًا، وأبوه «جني» مملوك روميّ لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصليّ، وُلِد ابن جني في الموصل وفيها نشأ وإليها يُنسب فيقالُ: الموصليّ. وكانت ولادتُه"[6]

وقد كان مولده"في حدود سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة، في الموصل. وفي هذا البلد العريق نشأ صاحبنا، وترعرع، وأخذ العلم عن مشايخه، فقد كانت الموصل في زمانه حاضرة من حواضر العالم الإسلامي، التي يُشار إليها في العلم، وكثرة المشايخ "[7]

وأكثر الذّين أخذ عنهم ابن جنيّ هو أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي المتوفى سنة 377هـ. وأهمّ كتب أبي الفتح: الخصائص، وسرّ صناعة الإعراب، والمنصف في شرح تصريف المازني، والمحتسب في تبيين وجوه شوذ القراءات، التصريف الملوكي، اللمع، وشرح ديوان المثنى، والتنبيه في شرح مشكلات الحماسة، وغيرها. وممَّا يتمتَّع بِه أبو الفتح حسّ مُرهف بِأسرار اللُّغة ومعرفةِ دقائقِها وفلسفةِ معانيها وادراكٍ بعيد الغورِ لِدلالة الألفاظ واستبطانِ دخائلِها.

أمّا وفاته فكانت"ببغداد لليلتين بقيتا من صفر سنة 392هـ في خلافة القادر. وقيل: توفي سنة 372هـ. وهذا سهو، أو تحريف، او خطأ مطبعي، فإنّ شيخه أبا عليّ توفي سنة 377هـ، وقد عاش ابن جنيّ بعد شيخه، وتصدر مكانه ببغداد للإقراء. وقيل توفي سنة 393هـ. وهذا خلاف ما في معظم كتب الطبقات. وقيل توفي في الثامن عشر من صفر سنة 392هـ "[8]

3-التّقابل فكرةٌ تراثيّة:

لمصطلحِ التّقابل (opposition)، مفهومٌ تتفقُ عليهِ المعجمات اللّسانيّة، فمدرسة براغ الحاضنة لهذا المفهوم تورده بقولها، ذلك " الاختلاف في المادة الصّوتيّة، القادر على تمييز المعاني في لغة معطاة معينة". تستطيع المقابلة الصّوتية التّفريق بين المعاني المعجميّة لكلمتين في لغة معينة وتكون صِواتِيًّا متمايزة فارقة"[9]

والقصدُ مِن التقابل الصِّوائيّ "هو الاختلافُ بينَ وِحدتينِ مُتمايزتَين أَو أكثر. إنّه اختلافٌ في المادةِ الصّوتيّة الّذي يتّخذ له قيمةً لغويّة " [10]؛ ومِن ذا أيضًا أنّه"يُستعمل المصطلح في اللسانيّات لِيحيلَ لُغويًا إلى الاختلافات المهمة بين الوحدات. والمصطلح مستخدمٌ أساسًا في الصّواتة، حيث يُشير إلى الموازنة بين السّمات الفارقة للصّوت"[11].

يَذكر ابن جني فِكرته التَّقابليَّة في بابين، فأوَّلهما، وسمَّاه: بابٌ في تصاقُبِ الألفاظِ لِتصاقبِ المعاني، ويبدؤُه بِقولِه:" هذا غورٌ مِن العربيَّة لا يُنتصفُ مِنه ولا يكاد يُحاطُ بِه. وأكثر كلامِ العربِ عليه، وإن

كان غُفلاً مسهُوًّا عنه. وهو على أضرب: منها اقترابُ الأصلين الثلاثيين، كضيّاطٍ وضيطار، ولوقةٍ وألوقةٍ، ورخْو ورِخْودّ، وينجُوج وألَنْجوج. " [12]، إلى أن ينتهي بقوله، " لكن مِن وراء هدا ضربٌ غيره، وهو أن تتقارب الحُروف لتقاربِ المعاني." [13] ويجِيء ابن جني بِجملةٍ أو عيِّنةٍ مِن المقابلات أو الثُّنائيَّات، فيقول:" مِن ذلك قولُه سبحانه: «أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرسَلنا الشَّياطين على الكَافِرِين تَؤزُّهم أَزّا» أي تُزعجُهم وتُقلقُهم. فهذا في معنى تهزُّهم هزّا، والهمزةُ أُختُ الهاء، فتقارَب اللَّفظان لِتقارُب المعنيين. وكأنَّهم خصُّوا هدا المعنى بالهمزة لأنها أقوى مِن الهاء، وهذا المعنى أعظمُ في النُّفوسِ مِن الهزّ، لِأنك قَد تهزّ ما لا بالَ لَه، كالجدعِ وساقِ الشجرة، ونحو ذلك." [14]؛ وقد أورد القرآن الكريم لفظة "هزّ" في نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿ وهُزِّي إِلَيكِ بِجذعِ النَّخلَةِ تَسَّاقَطُ عَلَيكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم الآية: 25)إشارةً إلى مريم –عليها السلام–وذلك لمعنى التّحريك اللطيف الخفيف لما كان حالها مِن الضّعف والهوان، فتقابل صوتُ الهاء لما فيه من الهمس والرخاوة مع حدث الضعف في اللّفظة.

ولم تفت ابن جني هذه الملاحظة في كونِ" أنّ اختلاف الحرف الواحد في اللَّفظين أو الحرفين أو الثلاثة، في مثل ما تقدَّم يؤدي إلى اختلاف دقيق في المعنى المراد مِن اللَّفظ، وإنَّ دقةَ المعنى تتفق مع جرسِ الحرف المختار، فكان هناك اختيارًا مقصودًا للصوتِ ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصّوت الآخر "[15]

ولا ريب أنّ ابن جني قد فطن لمسألة الاختلاف بين الحروف، وأنّ مردّ ذلك، مواضِع خروجها وتبايُنها بين موضعٍ وآخر، ومثّل له بالناي، يقول:" "ولأجل ماذكرنا من اختلافِ الأجراسِ في حروفِ المعجمِ باختلافِ مقاطِعها، التي هي أسبابُ تبايُنِ أصدائِها، ماشبّه بعضهم الحلقَ والفمَ بالناي، فإنّ الصّوت يخرجُ في همُس تطيلا أملس ساذجًا، كما يجري الصّوت في الألفِ غُفلاً بغيرِ صنعةٍ، فإذا وضعَ الزامِرُ أنامِلَه على خروقِ الناي المنسوقة، وراوح بين عَمله، اختلَفت الأصوات، وسُمِع لكلّ خرقٍ منها صوتٌ لايُشبِه صاحبَه، كذلك إذا قُطع الصّوت في الحلقِ والفم باعتماد على جهات مُختلفةكان سبب استماعِنا هذه الأصوات المختلفة "[16]؛ ولعلّ التّمثيل بالناي دليلٌ وبابٌ

آخر يجرّنا إلى ما لعلاقة الصّوت البشري وآليته مع الموسيقى، وللفارابي مؤلّفٌ جديرٌ بالاهتمام وقد سمّاه الموسيقى الكبير.

وقد بدت عنايتهم بقطاعٍ من اللغة مِن حيث نظم الحروف في الكلمة الواحدة، فلم يكتفوا باختيار الحروف المتجانسة للمعاني التي تُعبّر عنها، وإنما زادوا على ذلك بأن قابلوا ترتيب الحروف في الكلمة مع ما يضاهي حصول الحدث؛ وقد مثل ابن جني لذلك في قوله:" وأمّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها مِن الأحداث فباب عظيمٌ واسع، ونهجٌ متلئبٌ عند عارفيه مأموم. وذلك أنّهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمتِ الأحداثِ المعبّر بها عنها، فيُعدّلونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعافُ ما نستشعِره." [17]ومن أمثلة ذلك: " خَضَم، وقَضَم. فالخضم لأكلِ الرّطب؛ كالبطّيخِ والقثّاءِ وما كان نحوهما مِن المأكول الرّطب. والقَضم للصّلب اليابس؛ نحو قَضَمتِ الدابّة شعيرها، ونحو ذلك" [18]. وسبب مقابلة خَضم بأكل الرّطب والقضم للصّلب اليابس، خُصوصيّة صوتي /خ/ و /ق/، فالأوّل: مهموس، رخو، مستعلي، وأمّا الثاني، فمجهور، شديد، والجهر والشدّة –وهما من صفات القوة–جعلت التناسُب والتضاهي مع حدثِ الصّلابة واليُبس. فالمقابلة بين الصّوتين /خ/ و /ق/ تكشِف لنا أسباب وعلل ذلك. ونحو القَسمِ والقَصم. "فالقصم أقوى فِعلاً مِن القسم؛ لأنّ القَصمَ يكون معه الدّق، وقد يقسم بين الشيئين فلا يُنكأ أحدهما، فلذلك خصّت بالأقوى الصاد، وبالأضعفِ السين" [19].ونحو: النَّضح والنَّضخ وهما للماء وسيلانِه، لكن النَّضخَ " أقوى مِن النَّضحِ؛ قال الله سبحانه: «فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَان » فَجعلوا الحاء – لِرقّتها–للماءِ الضعيف، والخاء –لِغلظِها – لما هو أقوى منه." [20].فالتّقابل بين صوتي /خ/ و /ح/ هو سبب كون الماء مع الأول أقوى لِصفة الاستعلاءِ فيه وهي صفة القوة في الحرف، وانعدامها مع الحاء. " ومِن ذلك القدُّ طولاً، والقطُّ عَرضًا. وذلك أنّ الطاء أحصرُ للصّوتِ وأسرعُ قطعًا له مِن الدال. فجعلوا الطاءَ المناجِزة لِقطع العَرض؛ لِقربِه وسرعتِه، والدال المماطلة لما طال مِن الأثرِ، وهو قطعُه طولاً." [21].فمقابلة الصّوتين /د/ و/ط/ والحدثين، القطع طولا واستطالته مع /د/ وهي: مجهورة، شديدة، منفتحة غير مطبقة، وسرعةُ القطع مع /ط/ وهي: مجهورة، شديدة، مطبقة مفخمة، فسبب خفة القطع وسرعته كون الطاء مطبقةً مفخمةً وهذا من صفة القوة فيها.

ومِن ذلك أيضًا ": «مدّ الحبل»«ومتّ إليه بقرابة» فجعلوا الدال –لأنّها مجهورة– لما فيه علاج، وجعلوا التاء– لأنّها مهموسة– لما لا علاج فيه، وقالوا: الخذأ –بالهمزة– في ضعف النّفْس، والخذا –غير مهموز– في استرخاء الأُذن، يُقال: أُذن خذواء، وآذان خُذو، ومعلوم أنّ الواو لا تبلغ قوة الهمزة. فجعلوا الواو –لضعفها– للعيبِ في الأُذن، والهمزة –لقوتها– للعيب في النّفْس؛ من حيث كان عيب في النّفس أفحش مِن عيبِ الأذن " [22]. ولا يُظن أنّ ابن جني إلاّ خبيرا فقيها باللّغة العربية عارفا بأسرارها، فقد علّل تعليلا وافيا شافيا كافيا.

4–مبادئ مدرسة براغ ونظرها الصّوتيّ:

وُلدت الصّواتة la phonologie[23]،فيالمؤتمرالدوليللّسانيينبلاهايla Haye، وذلكفيشهرأفريل مِن عام 1928م، وقد تزعّم المؤتمر، ر.جاكوبسون R.Jakobson، س.كَرسيوسكي S.Karczewski، ن.تروبتسكوي N.Ttoubetzkoy،طرحوا مبادئ واقتراحات بلغت اثنين وعشرين،وقد جاءت منطلقًا مِن المسألة الّتي راودت الهيئة المنظّمة للمؤتمر، وكان الصُّوَيت أو الفونيم[24] مرتكز الصّواتة في التحليل تمثّلت في: " ما هي أنسبُ المناهج لطرحٍ مُتكامل وعمليّ لقواعِد لُغةٍ ما. والاجابةُ عن هذه المسألة تأسست على سوسير مرجعًا، الذي حدَّد اللِّسان كونَهُ نِظام مِن القِيم المقيَّدَة. وهذا ما دعا رواد هذه المدرسة –انطلاقًا مِن هذه الفِكرة–لِبحثسمات الأصوات، ليس مِن ناحية انتاجها، وإنّما مراعاةً لدورها في النِّظام الصّوائيّ.اهتم الصواتيون البنوييون الأوروبيون والأمريكيون بوصف الوحدات الصوتية وتحليلها، وكيفية توزيعها وانتظامها في نسق الألسنة، مُستندين إلى مبدإالوظيفة التي تؤديها والقيمة المسندة إليها. فكان أن ميزوا نوعين من الأصوات: أصوات تقع في نفس السياق وتعمل على تغيير المعنى، وهي الفونيمات، وأصوات تقع أو لا تقع في نفس السياق ولا تُغيِّر المعنى، وتسمى متغيِّرات صوتيَّة (تنوعات أو ألوفونات) أي تحقيقات سياقية أو غير سياقية لنفس الفونيم. ويتوقف تحديد الفونيمات، في الفونولوجيا الكلاسيكية، على اختبارات كلاسيكية نجملها في معايير الأربعة الأساسية التالية:

"التعارض: وذلك حينما يتبادل صوتان موقيعهما، فتترتب عن ذلك وحدة معجمية مختلفة فيعتبر الصوتان فونيمين مختلفين. وبذلكنحصل على ما يسمى بالأزواج الدنيا: أي كلمات تتماثل في كل المواقع إلا في موقع واحد مِن المتوالية.

التوزيع التكاملي: إذا كان صوتان يردان، دائما، في سياقات يقضي فيها أحدهما الآخر، فهما متغيران صوتيان لنفس الفونيم ويردان في سياقات تكاملية.

المشابهة الصوتية: لا يُمكن اعتبار صوتين متغيرين صوتين لنفس الفونيم، إلا إذا كانا متشابهين صوتيا أي يتقاسمان ملامح مميزة.

التنوع الحر: إذا تبادل صوتان موقيعهما في نفس السياق دون المساسِ بهويةِالوحدة المعجميَّة المعينة فإن هذين الصوتين عبارة عن تنوعين حرين لنفس الفونيم " [25]. وقد عُدّت هذه العناصر الأربعة، مبادئ الصّواتة عند مدرسة براغ؛ ولا شك في أنّ كثيرا منها ينطبق على اللّغات.

وطرح ديكرو (Ducrot)" التمايز: إنّنا نميل، ضمانًا للوضوح، إلى التمييز صوتيا بين العلامات الّتي لها معانٍ مختلفة، وإلى إدخال فصلٍ في السلسلة الكلامية "[26]

وكان لفيرديناد دوسوسير (F.De Saussure)، مفهومٌ يدلّ على أنّه –أي الصّوَيْت– واقعة فسيولوجية نفسيّة، يشعرُ بها المتخاطبون ويميّزون وَقعَها في سلسلةِ الكلام،"وقد استعمل سوسير هذا المصطلح ليجعله علمًا على العنصر الصوتي الّذي يتميز بوضوح من غيره مِن العناصر الأخرى في النظام الصّوتي نفسه، أيّا ما كانت صورة نطقية الفعلية. غير أنّ دي سوسير أدخل فيما بعد المعايير الصّوتولوجية إلى تعريف الصّوتيم. وعن هذا الإيضاح الأخير أخذت المدرسة الفرنسية فكرة الصّوتيم بوصفه وحدة لسانية على أنّه مركّب سمعي–فسيولوجي نفساني وظيفي، يمكن أن يتحقق في صورة صوت، وإن لم يكن تحققه شرطا ضروريا. (المهم هو أنّه ينبغي دائما أن يكون له وجود في وعي المتكلم)."[27]

اقترن مفهوم التّقابل بما للصُّوَيْت مِن وظيفة التّمايز وتوجيه المعنى، فقد بَدت "الوظيفة اللّغويّة للصّوَيْتَات les phonèmes، في إطارٍ عام للمقابلة الصّواتيّة الفارقة: إنَّ هناك اختلافًا في المادّة الصّوتية، الداعية إلى قابليّة تمييز المعاني ذهنيا في لغةٍ معيّنة معطاة"[28]

ومثال ذلك في اللغة الفرنسيّة، المقابلة بين صوتي / p/ و /b/، فالوحدة الأولى تختلف عن الثانية في الصفة، حيث / p/ مهموس، وأمّا / b/ فمجهور، وهذا الاختلاف في القيمة الصّوتية، يدعو إلى تمايز اللّفظتين pas و bas."وهذا يعني أنّ النظام الصّوائيّ للغةٍ ما، مؤسّسٌ على علاقاتِ التّقابل بين صُوَيْتات les phonèmes، وليس على الوصف المبسط السهل، هذا يُلجِئنا إلى تبني منظور الصّوتيّات "[29]؛ واتّضح بالقرب مِن مفهوم الصّوَيْت، ما تواضع عليه الصّواتيّون بـ: البديل الصّوتي (allophone)، فهو تحقّقٌ للصّويت بأشكالٍ مختلفة متفاوتة في مادتها الصّوتيّة دون المعنى، تثيرُ هذا الاختلاف والتفاوت البيئة الصّوتيّة، وحتى البيئة الجغرافية لها نصيبٌ في ذلك؛ وقد عرّفه ديبوا (Dubois) بما نصّه " يستعمل مصطلح البديل الصوتي غالبًا لمعنى التّنوع التّركيبي للصُّويت، وعليه فالبدائل الصّوتية للصُّويت هي تحقُّقاتُه متجزئةً مبثوثةً في سلسلة الكلام " [30]، ونحوه :" التّحقيق العيني أو الفعلي لتنوعات الصُّوَيْت " [31]؛ ومثال ذلك، قلب القاف /ق/ همزة /?/في نطق سكان القاهرة وسوريا ولبنان، أو إبداله جيما قاهريّة / ڤ/ في نطق سكان اليمن وأجزاءً من بلدان المغرب العربي، أو إبدال /ج/ ياءً /ي/ في نطق سكان الإمارات العربية؛ أو تفخيم الباء /ب/ بين كلمتي صَبروبَيت، ذلك لمجاورة الباء صوت الصاد /ص/ المطبق؛ ونحو ذلك في نطق الفرنسيين لصوت الغين في كلمة:regarderأوParis، وغيرهما، فمنهم من ينطقها غينا / /، وآخرون ينطقونها راءً /r/ فلا يدعو لوجود الاختلاف الدّلالي فيما بينها، خلاف ما لهما من تمايز في اللّغة العربيّة

ولم تبق فكرة التّقابل أسيرة النّظر الصّوتي، بل لامست الوحدات الصّرفيّة، والوحدات المعجميّة والدلاليّة. فلا شكّ بعد ذلك مِن أنّه إجراءٌ نظريّ متكامل أساسُه الاختلاف بين وحدات اللّغة الواحدة واللّغات فيما بينها؛ ولعلّ معنى هذا المفهوم يَقتربُ مِن قولِ الله عزّ وجلّ: ﴿وَ مِن آيَاتِهِ خَلْقُ السّمَاوَاتِ والأَرضِ واختِلاَفُ أَلسِنَتِكُم وَأَلْوَانِكُم إِنَّ في ذَلِك لآياتٍ لِلعالَمِين ﴾ (الروم: 22). فالاختلافُ كلمةٌ مركزيّة في الدّراسات اللّسانية، لعلّ أغلبها يحوم حولها، إذ لولا هذا التباين في اللّغة لما حصل التّواصل والتّفاهم بين البشر؛ ولما أوجد اللّسانيّ القوانين الضابِطَة المسيِّرة لكيان اللُّغة.

الخاتمة:

إنّ ما أفضت إليه هذه المقالة، جُملةٌ مِن النتائج في النحو التالي:

1-مصطلح التّقابل الصّواتي، مفهومٌ تراثيّ قد ورد في الخصائص لابن جني ولا شك أنّ نصوص القرآن الكريم والتأمل في تراكيبها الصّوتيّة والاختلاف فيما بينها، الباعث على الفكرة، وهو من أسبابِ تشكيل إجراءٍ ومنهجيةٍ في وصفِ السلاسِلِ الصّوتيّة وخصوصياتها أثناء تقابلها.

2-تناولت مدرسة وحلقة براغ -ذات الباع الطويل بين المدارس اللّسانيّة -مفهوم التّقابل الصّواتي، ولا يبتعد عمّا ورد لابن جني في خصائصه.

3-لا يُنكر إسهام التّراث اللّغوي العربي، في ميلاد اللّسانيّات والدّراسات الصّوتيّة، وقد أشار إلى ذلك كثيرٌ مِن اللّسانيين الغربيين والمستشرقين.

4-يحتاج التّراث اللّغوي العربيّ إلى قراءات عميقة متأنية، نستشف منه مقاصد الأوائل؛ وكذا قراءة هذا التراث بموضوعية وفي ضوء ما يُستجد في الدّرس الصّوتي الحديث.

5-لا تَقتصر فكرة التّقابل على الوحدات الصّوتيّة فقط، وإنّما تتعدى ذلك إلى المقابلة بين الوحدات الصّرفيّة والوحدات المعجميّة والدلاليّة.

6-الاختلاف أو السّمات الفارقة بين وحدات اللُّغة، كلمةٌ مركزيّة، دارت حولها جلّ الدّراسات اللّغويّة، وهي سبب إيجاد القوانين والنّظريات.

الإحالات:

[1]

[2]–والدليل على اهتمام المستشرقين مؤلفاتهم الغزيرة حول اللغة العربية وكذا لهجاتها، ينظر في هذا الصدد: كانتينو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ص 11 و12 و13.

[3]-ينظر: ابن جني، الخصائص، ج01، ص33.

[4]– ينظر: حامد هلال، عبد الغفار، الصّوتيّات اللّغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللّغة العربيّة، ص15.

[5]– ينظر: عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص79 و80.

[6]– يُنظر: الباقولي، أبو الحسن عليّ بن الحُسين، شرح اللُّمع للأصفهاني، ص16.

[7]– ينظر: النعيمي، حسام الدين، ابن جني عالم العربية، ص13.

[8]– ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، سرّ صناعة الإعراب، ص 08.

[9]- voir :VACHEK Josef, dictionary of the prague school of linguistics, p126.

[10]- J. DUBOIS et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, p336.

[11]- Voir :CRYSTAL, David, a dictionary of linguistics and phonetics, p343.

[12]–يُنظر: ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، ص 145.

[13]– نفسه، ص 146.

[14]– نفسه، الصفحة نفسها.

[15]– ينظر: النعيمي، حسام سعيد، الدِّراسات اللَّهجية والصَّوتية عند ابن جني، ص 277.

[16]-ابنجني،أبوالفتحعثمان،سرّصناعةالإعراب،ص08 و09.

[17]– ينظر: الخصائص، ج02، ص 157. (مرجع سابق)

[18]– ينظر: نفسه، الصفحة نفسها.

[19]– ينظر: نفسه، ص161.

[20]– ينظر: نفسه، ص158.

[21]– نفسه، الصفحة نفسها.

[22]– ينظر: ابن جني، الخصائص، ج01، ص 66.

[23]–الصِّوائَة المقابل لـ: phonology الإنجليزيّ و phonologie الفرنسيّ، مصطلحٌ صاغَه مكتب تنسيق التّعريب، وقد ذكر بأنّه:" علمٌ يدرس أصوات اللّغة من خلالِ وظيفتها في النسق"، يُنظر: مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحَّد لمصطلحات اللّسانيّات (إنجليزي–فرنسي–عربيّ)، المنظمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، 2002م، ص112.

[24]–الفونيم مصطلحٌ معرّب عن الإنجليزية phoneme، وهو يشيع في مؤلفات الدارسين اللّسانيين العرب المحدثين، وله بعض المرادفات أو التنوعات المصطلحيّة نحو، الصوتيم، الوحدة الصوتيّة، الصُّوَيت، وهذا الأخير أقلّهم استعمالاً وتداولاً رغم ما فيه من

الصّحةِ والسلامةِ المصطلحيّة، ذلك أنّ اللاحقةَ «eme» تدلّ على التّصغير، فإذا أردنا صوغ المصطلح واشتقاقِه من (صات) على الوزنِ الدّال على التّصغير "فُعَيْل"، قُلنا صُوَيْت؛ ولنا أن نقول من ذلك مع المصطلحات المنتهية بهذه اللاحِقة، كما في: morpheme صُرَيْفَة، toneme، seme دُلَيْل، tagmeme قُلَيب مِن قالب، lexeme عُجَيْمَة، syntagmeme تُرَيْكِب مِن التّركيب، ...

[25]– ينظر: هاري فان درهالست، نورفان سميث، الفونولوجيا التولدية الحديثة،ص 05 و06.

[26]– ينظر: أوزوالد ديكرو، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان، ص 56.

[27]– ينظر: ميلكا إفيتش، إتجاهات البحث اللّساني، ص230.

[28] - Voir :Marie-Anne PAVEAU, Georges-Elia SARFATI, les grandes théories de linguistique, p123.

[29]- ibid,p 123

[30]- DUBOIS, op.cit.,25.

[31][31]-Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of language and linguistics, p43.

قائمة المصادر والمراجع:

القُرآن الكريم بِرواية ورش عن الإمام نافع.

أ-باللّغة العربية:

1-ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، ج 01، تح محمد عليّ النجار، دار الكتاب العربيّ، بيروت-لبنان، 1952م.

2-.....، الخصائص، ج 02، تح محمد عليّ النجار، دار الكتاب العربيّ، بيروت-لبنان، 1952م .

3-.....، سرّ صناعة الإعراب، ط 02، دراسة وتحقيق حسن هندوي، دار القلم، دمشق،1993م.

4-أبو الحسن عليّ بن الحُسين الباقولي المتوفى (543هـ) شرح اللُّمع للأصفهاني، تحقيق ودراسة ابراهيم بن محمد أبو عباة، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ج 01، 1411هـ/1990م.

5-حامد هلال، عبد الغفار، الصّوتيّات اللّغوية دراسة تطبيقية على أصوات اللّغة العربيّة، ط 01، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008م.

6-ديكرو، أوزوالد وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان، تر منذر العياشي (طبعة منقحة)، المركز الثقافي العربي، د.ت،

7-عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط 06، عالم الكتب، القاهرة، 1988م.

8-مكتب تنسيق التّعريب، المعجم الموحَّد لمصطلحات اللّسانيّات (إنجليزي-فرنسي-عربيّ)، المنظمة العربيّة للتّربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، 2002م.

9-ميلكا إفيتش، إتجاهات البحث اللّساني، تر سعد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد، ط 02، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، القاهرة.

10-النعيمي، حسام سعيد، الدِّراسات اللَّهجية والصَّوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.

11-هاري فان درهالست، نورفان سميث، الفونولوجيا التولدية الحديثة، تر مبارك حنون وأحمد العلوي، ط01، منشورات دراسات سال، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م،

ب-باللغة الأجنبيّة:

1- CRYSTAL, David, a dictionary of linguistics and phonetics, 6th Edition, BLACKWELL Publishing, Australia, 2008.

2- DUBOIS. J et autres, dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, LAROUSSE, 1994.

3-Hadumod Bussmann, Routledge Dictionary of language and linguistics, translated and edited by gregory tranth and Kerstin, first published in the Taylor & Francis e-library, 2006.

4-PAVEAU Marie-Anne, SARFATI Georges-Elia, les grandes théories de linguistique, ARMAND COLIN, 2003, p123.

5-VACHEK Josef, dictionary of the prague school of linguistics, translated from the french by Libuse Duskova, John Benjamins publishing, Philadelphia, 2003.